﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

[آل عمران: 189]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـــرّبـــطُ بين شناعةِ أفعال أهـل الكتاب، وبـيـان قـدرتـه الّتي لا يعجزُها شيء

لَمَّا بيَّن اللهُ ﷻ في الآيةِ السَّابقةِ، شَناعةَ أفعال أهلِ الكتابِ والمنافقينَ، في تحريفِهم للحقائقِ، وحُبِّهم لأَنْ يُحمَدُواْ على ذلكَ، كان تَوَعُّد اللهِ لهم بالعذابِ الأليم، فجاءتْ هذه الآيةُ الكريمةُ، لتُقرِّر مالكيّةَ اللهِ لكلِّ شيء، وقدرتَه على كلِّ شيء، فلا يمتنع عليه أحدٌ من خلقِه، ولا يُعجِزُه أن يُعذِّبَ المنافقينَ وأهلَ الكتاب، وعليه فقد عطف هذه الآية على ما سبقها، "لاتّصالها بالآيات الّتي قبلها، فالواوُ فيها عاطفةٌ للجملة المستقلّة على مثلها، كأنّه يقول: لا تحزنواْ أيّها المؤمنون، ولا تضعفواْ، واصبرواْ واتّقواْ، ولا تخوّرون عزائمكم، بيّنواْ الحقّ، ولا تكتمواْ منه شيئًا، ولا تشتروا بآيات اللّه ثمنًا قليلًا، ولا تفرحواْ بما عملتم، ولا تحبّوا أن تحمدُواْ بما لم تفعلُوا، فإنّ اللّه تعالى يكفيكم ما أهمّكم، ويغنيكم عن هذه المنكرات الّتي نُهيتم عنها، فإنّ ملكَ السّماوات والأرض كلّه له، يعطي منه ما يشاء، وهو على كلّ شيءٍ قديرٍ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، اللّفظُ المناطُ هنا بالشّرح هو لفظ ﴿مُلْكُ﴾، وهو ما يُمْلكُ، ويُتصرَّفُ فيه، يُذكر ويُؤنّث، والجمع أملاكٌ، وفي القرآن الكريم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: 120]، بمعنى التّمليك، وعند الشّافعية: الملكُ

(1) رضا، تفسير المنار: 4/242.

هُو التّصرّفُ بالأمر والنّهي، وفي اصطلاح الفقهاء: اتّصالٌ شرعيٌّ بين الإنسان، وبين شيء يكون مطلقا لتصرّفه فيه، وحاجزا عن تصرّف غيره فيه[1]، قال الطّبريّ: "وهذا تكذيبٌ من الله - جلّ ثناؤه - الّذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران: 181]، يقول - تعالى ذكره - مكذّبًا لهم: للّه ملكُ جميع ما حوته السّماواتُ والأرض، فكيف يكونُ أيّها المفترون على الله، من كان ملك ذلك له فقيرًا؟"[2]، قال أبو حيّان: "ذكر تعالى أنّهم من جملةِ ما ملك، وأنّه قادر عليهم، فهم مملوكُون مقهورُون، مقدورٌ عليهم، فليسوا بناجين من العذاب"[3].

2) ﴿قَدِيرٌ﴾: اسم من أسماء الله الحسنى، وهو مذكور كثيرًا في القرآن الكريم، ويقال: هو قادر مقتدر، وهو ذو قدرة ومقدرة، وأقدره الله عليه، والأمور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره[4]، وكونُ الله له ملكُ السّماواتِ والأرض، وأنّه على كلّ شيءٍ قدير، كما ورد في آخر هذه الآية، هو "تذييلٌ بوعيدٍ يدلُّ على أنّ اللّهَ لا يخفى عليه ما يكتمُون من خلائقِهم"[5]، قال السّعديّ في تفسير أسماء الله الحسنى: "القديرُ: كاملُ القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يُحيي ويميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاء، ويجازي المُحسنَ بإحسانه، والمُسيءَ بإساءتِه، الّذي إذا أراد شيئًا، قال له: كُن فيكون، وبقدرته يُقلّب القلوبَ، ويُصرّفها على ما يشاء ويريد"[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

التّنويهُ بسلطان الله على الكون، وقُدرته المُهَيْمنة على كلّ الكائنات

يُقرِّر بيانُ اللهِ ﷻ مالكيةَ اللهِ للسَّماواتِ والأرض، ومَنْ فيهما، وما فيهما، من سائر أصنافِ الخلقِ، وأنّه المتصرِّفُ فيهم بكمالِ قُدرتِه، وبديعِ صُنعِه، لا يَعزُبُ عنه من أحوالِهم شيء، ولا يَندُّ عن خلقِه وأمرِه منهم أحدٌ، والسّياق يُطمئنُ المؤمنين ضمنيًّا، بأنّ الله

(1) أبو حبيب، القاموس الفقهيّ، ص: 339.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 7/473.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 3/468.
(4) الزّمَخْشري، أساس البلاغة: (قَدَرَ).
(5) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/195.
(6) السّعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 223.

"له وحده سبحانه ملكُ السّماواتِ والأرض بما فيهما، فهو وحده صاحب السّلطان القاهر، في هذا العالم، يتصرّف فيه كيفما يشاء ويختار: إيجادًا وإعدامًا، وإحياءً وإماتةً، وتعذيبًا وإثابةً، وهو سبحانه على كلّ شيءٍ قدير، لا يعجزه أمرٌ، ولا يدفع عقابَه دافعٌ، ولا يمنع عقابَه مانعٌ، فعليكم أيّها النّاس أن تطيعوه، وأن تحذروا غضبه ونقمته"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الوصل في الآية:

قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، هذه الآيةُ الكريمةُ تذييلٌ بِوَعيدٍ، يدُلُّ على أنَّ اللّه تعالى، لا يَخْفى عليه ما يَكتُمه من يحادُّ اللّه ورسولَه، من أهل التَّحريفِ والتَّشويه، والضَّلالاتِ القوليَّة والفعليَّة، من أهل الكتابِ والمنافقين،

وجه الوصل أنّ الآية تذييل بِوَعيدٍ يدلّ على سعة علم الله

سرُّ تقديم ما حقّه التَّأخير:

في تقديم شِبهِ الجُملةِ على المبتدأ، في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾، قصرٌ وحصرٌ، وتأكيدًا لاختصاصِ مُلكية اللّهِ للسَّماواتِ والأرضِ دون سواه، يتصرَّفُ - ﷻ - في سُلطانهِ القاهرِ فيهما، وبما فيهما كيفما يشاء، من غيرِ أن يكونَ لغيرِه شائبةُ تصرُّفٍ في شيءٍ من ذلك بوجهٍ من الوجوه، فالجملةُ مقرِّرة لما قبلَها، "وتقديم لفظ الجلالة، لإفادة الاختصاص والانفراد، وفي ذلك إشارةٌ، إلى أنّه وحده المتصرّفُ، وهو الّذي يعطي ويمنعُ، ويحاسبُ ويعاقبُ، وقد أعطى من أعطى في الدّنيا ليتمتّعوا حتّى حين، وأبقى ما أبقى في الآخرة، ليجزيَ الصّابرين، وينالَ عهدَه المتّقُون، وإنّ عطاءهُ لحكمةٍ، ومنعهُ لحكمةٍ، وفيه إشارة إلى كمال

أسلوب القصر تأكيدٌ لاختصاص ملكيّة اللهِ للسّماوات والأرض دون سواه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/370.

قدرته، وأنّه إن أوعد بالعقاب، ووعد بالثّواب، فهو القديرُ على تنفيذِ ما وعد وأوعد"[1].

بلاغة التخصيص في جملة الفاصلة:

قدرتُه الواسعةُ تؤكّد ثبوتَ عذابه في العاجلِ والآجلِ لمن حاربَه وكفرَ به

قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: تقريرٌ لاختصاصِ مُلكِ العالَمِ الجِسمانيِّ، المعبَّرِ عنه بقُطْرَيْه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ به ﷻ، وهو ﷻ القادرُ على الكلِّ؛ بحيث لا يشُذُّ عن مَلَكوتِه شيءٌ من الأشياء، وهذا كلُّه يَستدعِي أنَّ ما سواه - كائنًا من كانَ - مقدورٌ له، ومن ضرورتِه اختصاصُ القدرةِ به تعالى، واستحالةُ أن يشاركَه شيءٌ من الأشياء، في القدرةِ على شيءٍ من الأشياء، فضلًا عنِ المشاركةِ في ملكِ السَّماواتِ والأرض، وفي ذلكَ كلِّه تقريرٌ لِمَا مرَّ من ثبوتِ العذابِ الأليمِ لهم، وعدمِ نجاتِهم منه[2].

إظهارُ اسم الجلالةِ في موضع الإضمار:

في الإظهارِ ترسيةٌ لمهابةِ اللهِ وشُمولُ قدرتِه جميعَ الأشياءِ من أحكامِ الأُلوهيَّة المُهيمنةِ على الأرض والسّماء

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: إظهارٌ لهذا الاسمِ الجليلِ في موضعِ الإضمار، عوضًا عن قوله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [المائدة: 120]، وفيه ما فيه من تربيةِ المهابةِ في القلوب، والإشعارِ بمناطِ الحكم، فإنّ شُمولَ القدرةِ لجميعِ الأشياءِ من أحكامِ الأُلوهيَّة، مع ما فيه من الإشعارِ باسْتقلالِ كلٍّ من الجملتَيْن بالتَّقرير[3].

دلالة التّذييل في هذه الآية الكريمة:

آية التّذييل تبرز قدرة اللهِ الّتي لا يُعجِزُها، حمايةً عبادِهِ المؤمنين

هذه الآية تتضمّن تذييلًا بلاغيًّا، مستوعبًا بالإشارة ما تضيقُ عنه العبارةُ، قال صاحب التّحرير والتّنوير في شرحه لهذه الآية: "تذييل بوعيد يدلّ على أنّ الله لا يخفى عليه ما يكتمون من خلائقهم"[4]، فيؤكّد ببليغ العبارة، أنّه تعالى: "يُعطي ويمنعُ، وهو

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1546.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/127.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/127.
(4) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/195.

على كلّ شيءٍ قديرٌ، لا يعزّ عليه نصركُم، وهلاكُ من يؤذيكم، من أهل الكتاب والمشركين، وإلى اللّه تُرجعُ الأمورُ"[1].

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾:

قال ابن عرفة: "لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ يطلق على المعدوم والموجود، فأفاد أنّه - على كلّ شيء ممّا في السّموات والأرض وممّا هو خارج عنهما - قديرٌ"[2].

أفـادت (كـل) اسـتـغـراق مـوجـودات الـسّـمـاوات والأرض، وما هو خارجٌ عنهما:

(1) الحجازيّ، التّفسير الواضح: 1/321.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/338.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»